



## تونس في زمن المثابرة(١) حياة طبيعية والتكافل يحمي الانفتاح

انها حكایة الكأس التي يكون نصفها ملأنا والنصف الآخر فارغا، فيختار الناظر اليها كيف يعرفها: أبالفراغ ام بالملء؟ هكذا تبدو تونس للزائر العربي في زمن "المثابرة".

والمثابرة هي كلمة السر التي اختارها الحكم في تونس عنوانا، بل اسمًا للمؤتمر الثاني للتجمع الدستوري الديمقراطي، المنعقد بين ٢٩ تموز و١ آب في قصر المؤتمرات في العاصمة. فصار "مؤتمر المثابرة" الاسم العلم الأكثر تردادا في الصحف والإعلام المرئي والمسموع، طبعا بعد اسم الرئيس زين العابدين بن علي. اسم علم يخص الحزب القديم - الجديد الحاكم، لكنه في الوقت نفسه شعار للحكم، بل والدولة، تماما كما كانت كلمة "الإنقاذ" قبل خمس سنوات عنوانا لمؤتمر الحزب عينه وشعارا للدولة في آن واحد. وهذا تختلط الأمور. فمن "مؤتمر الإنقاذ" المنعقد عام ١٩٨٨ بعد أشهر على تتحية "المجاهد الراقي" الحبيب بورقيبة عن الرئاسة، إلى "مؤتمر المثابرة"، تعيش تونس مفارقة دائمة هي المفارقة بين اشكالية الديمقراطية المتبناة رسميا والاختلاط المستمر بين الحزب والدولة.

أبالملء اذا يعرف الزائر الكأس التونسية، ام بالفراغ؟

بتعبير آخر، اهو بلد على درب الديموقراطية ام صورة مجلمة لاستبداد الحكم الواحد؟ واحلة من الاستقرار والحياة الرغيدة وسط الاضطراب العربي، ام تجسيد ملطف لعصر الانحطاط الجديد؟

كلا الطرحين صحيح على الارجح. او لنقل ان الحقيقة تترجح بين الاثنين. ولعل خصوصية تونس هنا بالتحديد، اي في كونها تأبى الانغلاق داخل خيار تبسيطي بين الاسود والابيض، فترغم الزائر على البحث عن تلاوين اكثرا تعقيدا وتجعله يكتشف كيف تكون صيرورة هذا البلد تثبيتا لقاعدة التراجع العربي وخروجا عنها في آن واحد.

كثيرة هي بالفعل مبررات استثناء تونس من القاعدة العربية، والظواهر التي تدفع الى النظر اليها بإيجابية. اول هذه المبررات ان الحياة فيها طبيعية في شكل لم يعد طبيعيا في بلد عربي. لذا، فإن اول ما يتتبه اليه الوافد من بلد عربي آخر هو هذا الانظام العادي للحياة العامة وغياب اي توتر ظاهر. فالبلد ممسوك امنيا ولكن من دون ان ينعكس ذلك في الحياة اليومية للناس العاديين قيودا تحد من حركتهم. صحيح ان الدوريات الامنية كثيرة في الليل، لكن جلها لشرطة المرور.

وإذا كان العاملون في القطاعات السياحية ابدوا امتعاضا، في اوائل الموسم، من حجم الوجود البوليسى في الشوارع، فقد اخذت شكوكاهم في الاعتبار، وتم تخفيف هذا الوجود. حتى الاجراءات التي رافقت انعقاد مؤتمر التجمع الدستوري الديمقراطي في قلب العاصمة بقيت في مستوى معقول،



ولم تتعكر حركة السير في المدينة، وان يكن تعدد مراكز التدقيق في البطاقات في المحيط المباشر لقصر المؤتمرات وداخله ينم عن وجود هم امني حاد لدى المسؤولين.

ليس الاستقرار الامني، ولا فاعلية الاجهزة التونسية المختصة بالشئء الجديد. فتونس لم تعرف اخلالا جديا بالامن في الماضي، سواء في عهد الحبيب بو رقيبة او منذ وصول الرئيس بن علي الى اعلى السلطة عام ١٩٨٧. حدثت بالطبع فورات، لكنها كانت آتية، مثل "ثورة الخبز" عام ١٩٨٤، او محصورة في الوسط الجامعي او العمالي. اما لجوء حركة "النهضة" الاصولية الى العنف في ١٩٩١ و ١٩٩٢ ، فقد تمت مواجهته بسرعة قبل ان ينال من تقليد الاستقرار الامني التونسي، ومن سمعة "البلد الصديق"، حسب الشعار المستعمل لاستقطاب السياح في الحملات الدعائية التونسية في اوروبا.

ومع ذلك، يبقى الاطمئنان الذي تنعم به تونس ظاهرة لافتة، لا سيما اذا قورن بالاضطراب السائد في الجزائر او في مصر. وتنعزع صورة الطمأنينة السائدة عند رؤية كثافة السياح في الشوارع والفنادق وعلى الشواطئ.

وللوجود السياحي الكثيف في هذا الصيف دلالة في غاية الاممية. فهو يؤكد تعافي هذا القطاع بعد الكساد الذي اصابه من جراء حرب الخليج (و ايضا بسبب المواقف التونسية المناهضة للحرب الاميركية). في الحقيقة، كانت حركة السياحة استعادت زخمها منذ الصيف الماضي، على رغم المعركة التي كانت دائرة وقئتذ بين الدولة والاصوليين. وكانت تلك الاستعادة من اهم اسباب الانتعاش الملحوظ الذي يشهده الاقتصاد التونسي. الا انه كان يخشى ان تحول انعكاسات الاحداث الجزائرية (والمصرية) دون استمرار تعافي القطاع السياحي.

من الواضح ان ذلك لم يحصل، ويتوقع تاليا ان تساهم السياحة هذا السنة ايضا في زيادة معدل النمو، او على الأقل في بقائه عالياً.

والانتعاش الاقتصادي هو بالطبع ظاهرة اخرى تبرر النظر بابيجابية الى الوضع التونسي. ففي الوقت الذي يستشرى الكساد الاقتصادات الاوروبية وتبدو معظم الدول الافريقية والعربيه عاجزة عن الاقلاع، بلغ معدل النمو السنوي في تونس ٨،٦ في المئة في العام الماضي، وهو من اعلى النسب في العالم. اما اسباب هذا النمو، فهي تعود، بالإضافة الى تعافي القطاع السياحي، الى جودة المواسم الزراعية في السنوات الأخيرة، لكنها تتصل ايضا" بنجاح جهود الدولة في مزاوجة الانفتاح الاقتصادي مع اجراءات الترشيد والاصلاح.

تعد تونس اليوم من "التلامذة الشاطئين" الفلائل لصندوق النقد الدولي في افريقيا والعالم العربي. فقد تم تحرير الاقتصاد من الكثير من الانظمة التي تعتبر في واسنطن قيودا بيرورقاطية، وبدأ منذ سنوات تنفيذ برنامج تخصيص الشركات العامة، لاسيما في قطاعي الفنادق والمصارف.

لا ان ما يميز تونس، قبل اي شيء، بين معظم دول العالم الثالث التي قيدت الى تطبيق الحلول الليبرالية تحت اشراف صندوق النقد الدولي، هي قدرتها على تجنب الآثار السلبية المعهودة لوصفات واسنطن على النسيج الاجتماعي. بخلاف دول اخرى ادى بها الافراط في الانفتاح الى انشطار



اجتماعي حاد بين فئة طفيلية صغيرة تكونت ثروتها بسرعة وزادت باطراد، وشرائح كبيرة تفتقد مقومات العيش بحد ادنى من الاستقرار، لم يحصل في تونس تفاصم لفروقات الاجتماعية الموجودة، وبقيت الفئات المتوسطة على حجمها، مما جعل النسيج الاجتماعي يحافظ على تماسته إلى حد بعيد. ولا يعني ذلك انه تمّ محو ظاهرة الفقر، كما قد يحال الزائر للوهلة الأولى عندما يدور في العاصمة فلا يرى مظاهر بؤس شديدة الوضوح ويجد نفسه مدفوعاً إلى التساؤل: ولكن أين الفقراء؟

الجواب عن هذا السؤال بسيط: بلـ، هناك فقراء في تونس، ونسبةـهم، بحسب المقاييس العالمية التي تحدد "عتمة الفقر"، تناهز العشرين في المئةـ. غيرـ أنـ هذهـ النسبةـ، علىـ اهميتهاـ، تظلـ اخفـ مماـ هيـ فيـ الجزائـرـ والمـملـكةـ المـغـرـبـيـةـ، علىـ رغمـ التـقاـوـتـ فيـ الطـاقـاتـ الـاـقـتـصـادـيـةـ وـالـبـشـرـيـةـ وـالـمـوـارـدـ الطـبـيـعـيـةـ بـيـنـ تـونـسـ وـكـلـ مـنـ هـذـيـنـ الـبـلـدـيـنـ الـقـرـيـبـيـنـ.

انـ المنـاعـةـ التـونـسـيـةـ ضدـ تـفـكـكـ النـسيـجـ الـاجـتمـاعـيـ الـذـيـ يـتـلـازـمـ عـادـةـ معـ الـانـفـاتـاحـ الـاـقـتـصـادـيـ تـكـمـنـ فـيـ شـكـلـ اـسـاسـيـ فـيـ تـراـكـمـ الـانـجـازـاتـ الـاجـتمـاعـيـةـ مـنـذـ الـاـسـقـلـالـ، لـاسـيـماـ فـيـ مـجـالـ الـاسـكـانـ. فـقـدـ اـمـتـازـتـ الـدـوـلـةـ بـجـهـدـ مـبـكـرـ وـمـسـتـمـرـ فـيـ بـنـاءـ الـوـحـدـاتـ السـكـنـيـةـ الـشـعـبـيـةـ، مـاـ يـفـسـرـ غـيـابـ مـدـنـ التـنـكـ مـنـذـ سـنـوـاتـ عـدـةـ.

ولـاـ شـكـ اـيـضـاـ انـ المنـاعـةـ الـاجـتمـاعـيـةـ تـعـزـزـ مـنـ جـرـاءـ اـنـتـظـامـ الـحـيـاةـ وـالـمـؤـسـسـاتـيـةـ فـيـ الـبـلـدـ وـمـنـ وـجـودـ عـدـدـ الـهـيـبـاـتـ الرـسـمـيـةـ الـهـادـفـةـ إـلـىـ تـأـطـيرـ التـكـافـلـ الـاجـتمـاعـيـ وـالـمـسـتـوـحـةـ مـنـ النـمـطـ الـفـرـنـسـيـ. كـمـ اـنـهـ يـجـدـرـ التـنـبـهـ، مـنـ جـهـةـ اـخـرـىـ، إـلـىـ دـورـ السـيـاحـةـ الـجـمـاهـيرـيـةـ الـأـوـرـوـبـيـةـ الـتـيـ تـشـكـلـ تـونـسـ مـصـبـاـ لـهـ، فـيـ اـعـالـةـ اـعـدـادـ كـبـيرـةـ مـنـ التـونـسـيـنـ مـنـ اـصـحـابـ الـمـهـنـ الـمـوـسـمـيـةـ الصـغـيـرـةـ، وـهـيـ مـدـاـخـيلـ لـاـ تـؤـخـذـ دـائـمـاـ فـيـ الـحـسـبـانـ فـيـ الـاـحـصـاءـاتـ الرـسـمـيـةـ.

(تـبـعـ حـلـقـةـ ثـانـيـةـ)

سمـيرـ قـصـيرـ



<b>Id-Reference</b>	93-Pr-000091	
<b>Media</b>	(Support)	HC
<b>Title</b>		حلقة أولى تونس في زمن المثابرة (١) حياة طبيعية والتكافل يحمي الانفتاح
<b>Subtitle</b>		
<b>Section</b>		
<b>Language</b>		عربي
<b>Source</b>		النهار
<b>Page</b>		٩
<b>Date</b>		١٩٩٣/٨/١٧
<b>Author</b>		سمير قصیر
<b>Co-Author</b>		
<b>Keywords</b>		
	<b>Persons</b>	زين. عابدين. بن. علي - حبيب. بو. رقيبة
	<b>Locations</b>	تونس
	<b>Dates</b>	١٩٩١, ١٩٩٢, ١٩٨٤, ١٩٨٧, ١٩٨٨
	<b>Themes</b>	تونس - مؤتمر. مثابرة - ديمقراطية - حزب - دولة - استقرار. أمني - تكافل. اجتماعي - انتعاش. إقتصادي - انفتاح - سياحة - نمو - حركة. نهضة. أصولية - مواجهة
<b>Subject</b>		تونس في زمن المثابرة حيث الحياة طبيعية والأمن مستقر والتكافل الاجتماعي يحمي الانفتاح الاقتصادي بخلاف الدول العربية